

مَعْنَى التَّاجِرِ الصَّدُوقِ وَمَنْزِلَتُهُ وَلِمَاذَا هُوَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ١٠ سُؤَالَ ١٤٤٥ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ يَدْعُو إِلَى الْكَسْبِ وَالْعَمَلِ، وَيَحَذِّرُ مِنَ الْبَطَالَةِ وَالْخُمُولِ وَالْكَسَلِ، وَالْعَمَلُ سَبِيلٌ إِلَى إِعْمَارِ الْأَرْضِ، وَتَقَدُّمِ الْأَوْطَانِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. وَصُورُ الْكَسْبِ الْحَلَالِ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَمِنْ أَفْضَلِهَا التَّجَارَةُ، حَيْثُ سَمَّى اللَّهُ ﷺ أَرْبَاحَهَا فِي الْقُرْآنِ «فَضَلَ اللَّهُ»، وَقَرَنَ سُبْحَانَهُ ذِكْرَ الضَّارِبِينَ فِي الْأَرْضِ لِلتَّجَارَةِ بِالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ». وَلَقَدْ تَاجَرَ نَبِينَا ﷺ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَعَ زَوْجَتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَكَانَ خَيْرَ مِثَالٍ لِلتَّاجِرِ الْأَمِينِ، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كُنْتُ شَرِيكِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكُنْتُ خَيْرَ شَرِيكِ، لَا تُدَارِينِي، وَلَا تُمَارِينِي. أَيُّ: لَمْ يَكُنْ ﷺ يُخْفِي عِيًّا فِي سِلْعَةٍ، وَلَا يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِلتَّاجِرِ الْأَمِينِ صِفَاتٌ حَمِيدَةٌ، وَخِصَالٌ شَرِيفَةٌ يَتَحَلَّى بِهَا، مِنْهَا:

الْأُولَى: الصَّدْقُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. وَالصَّدْقُ يُورِثُ الْبَرَكَةَ فِي التَّجَارَةِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورَكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَتُهُمَا بَيْعُهُمَا»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ»، فَاسْتَجَابُوا لِلرَّسُولِ ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّ

التَّجَارُ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ وَصَدَقَ».

أَمَّا التَّاجِرُ الْكَذُوبُ الَّذِي يَبِيعُ سِلْعَتَهُ بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ فَتَنْزَعُ الْبَرَكَةُ مِنْ مَالِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ إِنفَاقُهُ مِنْهُ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلْسِّلَعَةِ، مُمَحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ».

الثَّانِيَةُ: التَّاجِرُ الْأَمِينُ لَا يَغْشُ وَلَا يَخْدَعُ. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عُقْبَةَ ابْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيْنَهُ لَهُ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَנَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي».

الثَّالِثَةُ: السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَالتَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ».

الرَّابِعَةُ: التَّاجِرُ الْأَمِينُ لَا يَسْتَغْلُ أَوْقَاتَ الْأَزْمَاتِ الْعَامَّةِ فِي إِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ. لِذَلِكَ فَهُوَ يَتَعَدَّى عَنْ كُلِّ صُورِ الْجَشَعِ وَالْغِشِّ وَالِاخْتِكَارِ الْمَمْنُوعِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَدْوَاءُ مَرْفُوضَةً مَذْمُومَةً خَبِيثَةً فِي كُلِّ وَقْتٍ فَإِنَّهَا فِي وَقْتِ الْأَزْمَاتِ أَشَدُّ جُرْمًا وَإِثْمًا، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُضْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اخْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ».

الخَامِسَةُ: التَّاجِرُ الْأَمِينُ لَا يَغْفُلُ عَنِ الصَّدَقَةِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ

رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْحَلِفُ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلتَّاجِرِ الْأَمِينَ ثَوَابًا عَظِيمًا، وَأَجْرًا كَبِيرًا، وَمِنْ ذَلِكَ:

الأَوَّلُ: التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَه، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

الثَّانِي: الْأَمَانَةُ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ».

الثَّالِثُ: الْأَمَانَةُ خُلِقَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عُرِفَ بِهَا، وَشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ، وَأَمَرَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَحِفْظِهَا، وَنَهَى عَنِ الْخِيَانَةِ وَلَوْ مَعَ الْخَائِنِ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ».

الرَّابِعُ: الْأَمَانَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأَمَانَةَ خُلِقَ عَظِيمٌ، بِهِ تُحْفَظُ الْحُقُوقُ، وَتُؤَدَّى الْوَاجِبَاتُ، وَتُصَانُ الدِّمَاءُ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ، وَبِهِ تُعْمَرُ الدِّيَارُ وَالْأَوْطَانُ، وَيُعْبَدُ اللهُ فِي أَرْضِهِ، وَبِهِ يَنَالُ الْعَبْدُ رِضَا رَبِّهِ، وَثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْفَرَادُ وَلَا الدُّوَلُ، وَلَا الشُّعُوبُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ.

وَقَدْ أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِخُلُقِ الْأَمَانَةِ، وَبَيَّنَّ أَهَمِّيَّتَهُ وَفَضْلَهُ وَآثَرَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، وَحَذَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ خِيَانَةِ الْأَمَانَاتِ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَالْأَمَانَةُ هِيَ الْقِيَامُ بِالْوَأْجِبَاتِ، وَأَدَاءُ الْحُقُوقِ، وَإِتْقَانُ الْأَعْمَالِ، وَحِفْظُ الْوَدَائِعِ، وَهِيَ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ مَجَالَاتِ حَيَاةِ الْفَرْدِ تُجَاهَ نَفْسِهِ وَدِينِهِ، وَأُسْرَتِهِ وَوَضِيعَتِهِ، وَمُجْتَمَعِهِ وَوَطَنِهِ، لَا فَرْقَ فِيهَا بَيْنَ صَانِعٍ وَتَاجِرٍ، أَوْ عَامِلٍ وَزَارِعٍ، وَلَا بَيْنَ غَنِيِّ وَفَقِيرٍ، أَوْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، فَهِيَ شَرَفٌ لِلْجَمِيعِ، وَرَأْسُ مَالِ الْإِنْسَانِ، وَسِرُّ نَجَاحِهِ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ تَقَدُّمٍ، وَسَبَبُ لِكُلِّ سَعَادَةٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ قَلَّتِ الْأَمَانَةُ فِي النَّاسِ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي؛ حَتَّى أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ نَبْحَثُ عَنِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ، وَالْعَامِلِ الْأَمِينِ، وَالطَّبِيبِ صَاحِبِ الْأَمَانَةِ، وَالْبَائِعِ الَّذِي يَتَعَامَلُ بِالْأَمَانَةِ، وَالْمُوظَّفِ وَالْمُعَلِّمِ وَالْمُقَاوِلِ، وَالصَّيْدَلِيِّ وَالْمُهَنْدِسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَا نَجِدُ إِلَّا الْقَلِيلَ، فَالْأَمَانَةُ أَصْبَحَتْ عُمَلَةً نَادِرَةً بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا، وَالْبُعْدِ عَنِ الدِّينِ وَتَعَالِيهِ، وَعَدَمِ إِدْرَاكِ خُطُورَةِ ضِيَاعِ الْأَمَانَةِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ حُذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ...، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا».

لَقَدْ أَنْبَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سَنَوَاتٍ خَدَاعَاتٍ؛ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.